المؤامرات في القسطنطينية ضد الإمبراطور فوقاس

ناصر عبد الحميد زيدان عبد الحميد

هناك عديد من المشاكل و الإضطرابات التي تعرض لها الإمبراطور فوقاس Phocas بعد توليه حكم الدولة البيزنطية عام ٦٠٢م و تُعد المؤامرات التي قامت بها الطبقة الأرستقراطية من أخطر المشاكل التي أرقت فترة حكمه ، وسوف نتناول في هذا البحث تلك المؤامرات ، فبعد المذبحة الدامية التي قام بها الإمبراطور فوقاس ضد سلفه الإمبراطورموريس Maurice و أفراد أسرته ، ظن أنه سيكون السيد الوحيد للإمبراطورية . و لكن في كل مكان من الإمبراطورية رفض الأهالي التصديق على اختيار الجيش ففي إنطاكية وقيلقيا والولايات الرومانية في أسيا وفي فلسطين وإليريا وسالونيكا كانت الحروب الأهلية شديدة ضده ،وحتى القسطنطينية نفسها التي اعترفت به إمبراطور دبرت فيما بعد المؤامرات ضده (١) .

بدأ يدرك الإمبراطور فوقاس أن التاج الذي أخذه بالقتل لن يتم الاحتفاظ به إلا بالدم ، وان النجاح الذي بدايته جريمة لن يستمر سوى بمزيد من الجرائم و التي سيكون المغتصب هو نفسه آخر ضحاياها في النهاية ، فبعد أن تخلص الإمبراطور فوقاس من الإمبراطور موريس أدرك أن الأمور لن تستقر له إلا إذا تخلص من أفراد أسرته جميعاً ، وبالفعل أقدم على قتل بطرس شقيق موريس ، ،وقائده الموالي له كومنيتوليوسComentiolus ،ولم يفلت من يده سوى القائد بريسكيوس لأنه كان محبوباً من سكان العاصمة و انضمامه إلي الجيش الثائر (٢).

وكما سبق القول أن فوقاس اعتلى عرش الإمبراطورية بموافقة السناتو و بتأييد العامة في القسطنطينية وبعض ضباط الجيش ، إلا أن الطبقة الأرستقراطية ، بما كانت تشغله من مناصب مدنية وعسكرية كبيرة ، وكذلك الأحزاب السياسية كانت ضده ، ولذا لم تد م الهتافات طويلا للإمبراطور فوقاس خاصة في القسطنطينية وتعرض لمؤامرة تلو المؤامرة ،وكانت هذه المؤامرات من تدبير

قسطنطينا Constantina أرملة الإمبراطور السابق موريس ، فقد ولدت قسوة الطاغية فوقاس الحقد في قلب هذه المرأة ، و هي التي عاشت على أمل عودة ابنها ثيودسيوس Theodosius ، فبعد أن تخلص الإمبراطور فوقاس من موريس وأبنائه الذكور ،اكتفى بحبس قسطنطينا وبناتها في أحد الأديرة المعروف بـــ (ليو Leo)، وتركهن علي قيد الحياة عندما تأكد من عدم وجود أي خوف من جانبهم وكان هذا عام ٦٠٢م . (٣)

في عام ٦٠٥م وكان جيرمانيوس قد سهل هروب أرملة موريس إلي كنيسة آيا صوفيا ، بمساعدة الخصي Scholastikos – أحد مسئولي الحريم في القصر ، و تمرد ضد الإمبراطور فوقاس ، و حاول كسب دعم الخضر لكنه لم ينجح في ذلك ، و في نفس الوقت كان هناك شغب في المدينة ، حيث تجمع الخضر في مدخل Kachlias ، وصرخوا وأهانوا الإمبراطورة ، بينما أرسل جيرمانيوس سبيكة من الذهب إلي زعيم الخضر لكي يتعاون معه ، لكن قادة الخضر رفضوا ذلك ، أما فوقاس فقد حاول القبض على قسطنطينا وبناتها من داخل الكنيسة العظمى لكنه قوبل بالرفض من البطريرك كيرياكيوس Cyricus ، الذي نحج في الحصول على تعهد من الإمبراطور فوقاس بألا يمسهن بسوء ، ثم بعد ذلك تم نقل النساء الأربعة إلي أحد الأديرة ، وفُرض على جيرمانيوس الإقامة الجبرية في منزله ، وفي نفس الوقت أمر فوقاس بنفي فليبيكيوس إلي الدير الذي بناه بنفسه (٤)

هذه هي رواية ثيوفان عن مؤامرات قسطنطينا فإذا قارناها بروايات المؤرخين نجد أن : ثيوفان و الحولية الفصيحة (بسكال) **Chronicon Paschale** اتفقا في تاريخ نفي الإمبراطورة قسطنطينا إلي أحد الأديرة عام٦٠٣ م ، و رواية ثيوفان في عام ٦٠٢–٦٠٣م لم تتحدث إلا عن قسطنطينا وبناتها ، ولم تذكر المصير الذي آل إليه كل من جيرمانيوس و فيليبيكوس في هذا العام ،بل ذكره عام ٦٠٥م، أما الحولية الفصيحة (٥) فقد ذكرت عام ٦٠٣م

المصير الذي آلت إليه قسطنطينا وبناتها وكل من جيرمانيوس فيليبيكوس philippikos قائلةً :" في عام ٦٠٣م حُجزت الإمبراطورة قسطنطينا في الدير ، وضُم إلي رجال الدين البطريق فيليبيكوس و جيرمانيوس ". ربما تكون رواية الحولية الفصيحة أدق من رواية ثيوفان في التأريخ ، و ما يؤكد صحتها، تلك الرواية التي ذكرها يوحنا النقيوسي : الذي ما أن ذكر تخلص فوقاس من موريس وأبناؤه في نوفمبرعام ٦٠٢م حتى ذكر لنا المصير الذي آلت إليه الإمبراطورة قسطنطينا وبناتها وزوجة ثيودسيوس فقال : " أنه تم القبض عليهن وتجريدهن من ملابسهن الملكية ، وألبسهن ملابس الإماء ،وأبقهن في دير العذارى" (٦).

و رواية يوحنا النقيوسي اتفقت مع رواية ثيوفان في تاريخ نفي أرملة موريس إلي أحد الأديرة ، ولم تذكر شيئاً يتعلق بالقائد فيليبيكوس و البطريق جيرمانيوس ولكنها ذكرت لنا أخبار مؤامرة قام بها أحد البطارقة وهو الكسندر Alexander ، و كان الذي محبوباً من سكان المدينة ، وكان ألكسندر يعمل على قتل الإمبراطور فوقاس ليحل محله في الحكم غير أن الإمبراطور فوقاس كشف المؤامرة ، وأمر بنفيه وبعض خصيانه ، حيث كبلهم بالأغلال وأرسلهم إلي الإسكندرية لوضعهم في السجن ، وبعد فترة أرسل فوقاس أمراً إلي حاكم الإسكندرية جوستنيان بقطع رأس ألكسندر وزملائه (٧) .

أما يوحنا الأنطاكي فلم يذكر من هذا الحدث سوى نفي فليبيكيوس إلى أحد الأديرة ، وقد ذكر هذا الحادث بعد اغتيال أطفال الإمبراطور موريس وقبل الحادثة الشهيرة بين ألكسندر والزرق وعقب تتويج ليونيتا زوجة الإمبراطور فوقاس ، يتفق ثيوفان مع يوحنا الأنطاكي في نفس المكان الذي نُفي إليه فليبيكيوس ،وهو الدير الذي بناه بنفسه المعروف بكريوبولس Chrysopolis (٨) .

ثم يأتي المؤرخ ميخائيل السرياني ليعرض لنا تفاصيل رواية مختلفة تماما عن فليبيكيوس إذ يقول " أن فليبيكيوس عقب تولي فوقاس العرش ، آتى لمقابلة فوقاس يتباهى بأنه شارك في إسقاط حكم الإمبراطور موريس ،وطلب منه

أن يجعله تحت إمرته ، فقال له فوقاس : إذن أنت مستعد أن تكون لنا صديقاً : فأجاب فليبيكيوس نعم سيدي : فقال فوقاس كيف يمكن أن تكون خلاً صادقاً ، في حين لم تستطيع أن تكون صهراً صالحاً ، اذهب لشأنك ، فمن لا يؤتمن كصهر ،لا يؤتمن كصديق ، فلما طُرد من قبل الدولة ترهب " (٩) .

ويبدو أن هذا الحادث جرى عقب تتويج فوقاس للعرش ، ولذا فهو يتفق مع يوحنا الأنطاكي ، يضاف إلي ذلك أن فيليبيكوس انخرط في سلك الرهبنة برغبته ، حيث اختار الترهب في الدير الذي أسسه بنفسه ، وفي النهاية لم يذكر ميخائيل السرياني كلمة واحدة عن مؤامرة جيرمانيوس و قسطنطينا .

وأخيراً إذ لم يكن لدينا سوى هذين المصدرين – ثيوفان ويوحنا الأنطاكي – فإننا بالطبع سوف نؤيد يوحنا الأنطاكي ، الذي كتب في منتصف القرن السابع الميلادي فهو أقرب إلي الأحداث التي يرويها ، أما الحولية الفصيحة التي تضع نفي قسطنطينا و جيرمانيوس و فليبيكيوس عام ٦٠٣م ، والتي تنتهي عام ٦٢٨م ، أنها بدون شك سابقه ليوحنا ، وبالطبع فهي أكثر دقة ، لان ثيوفان لا يضع بين قتل موريس ومؤامرة جيرمانيوس إلا شرح مطول وإسهاب في موضوع الحرب الفارسية و العمليات العسكرية وبعدها أستأنف الحديث عن السياسة الداخلية ، فيبدو أن ثيوفان نسى بلا شك منهجية العرض ، وأرخ مؤامرة جيرمانيوس Germanus و قسطنطينا كما لو كان قد لاحظها كترتيب لتتابع الأحداث التاريخية .

ومن جديد يعرض لنا المؤرخ ثيوفان (١٠) تفاصيل مؤامرة قامت بها قسطنطينا عام (٦٠٦-٦٠٧م) من عقر صومعتها بالاتفاق السري مع جيرمانيوس بغرض قلب نظام حكم الإمبراطور فوقاس والانتقام منه ، وقد استخدمت قسطنطينا أحدى سيدات القصر وتدعي بترونيا Petronia مهمة حمل الرسائل إلي جيرمانيوس وردوده إليها ولكن هذه السيدة أفشت هذا السر لفوقاس مقابل مبلغ من المال ، فتم القبض على الإمبراطورة قسطنطينا ، ووضعت بين

يدي رجل من رجال فوقاس يدعي ثيوبونت Thepenpto ، الذي أذاقها أشد ألوان العذاب حتى اعترفت بالمؤامرة ،وذكرت أن هناك عدد كبير من الرجال البارزين في الدولة اشتركوا في هذه المؤامرة أمثال : ثيودور Theodore حاكم الشرق ، وإلبيديوس Elpidios قائد الأسطول ، ورفيد المشرف على قصر هورمسيداس، فقد تم القبض على المتآمرين جميعاً وسيقوا للموت .

و جاء ثيوفان عام (٦٠٨-٦٠٩م) يروي تفاصيل مؤامرة أخري دُبرت ضد الإمبراطور فوقاس ، قام بها عدد كبير من موظفي البلاط وعلى رأسهم تيودور مستشار الإمبراطور و والي الشرق ، والذي كان يأمل أن يصبح إمبراطوراً ، ويبدو أن الإمبراطورة قسطنطينا وبناتها الثلاثة قد اشتركن في هذه المؤامرة ، وكانت خطة هذه المؤامرة هي القبض على فوقاس خلال الألعاب ، وقتله بالأسلحة التي يقدمها للمتسابقين ولكن انستاسيوس أفشى هذه المؤامرة لفوقاس ، الذي أمر على الفور بالقبض على المتآمرين وإعدامهم ([١١]) .

لقد استخدم الإمبراطور فوقاس جميع الأساليب غير الآدمية مع المتآمرين فقد قتل تيودور بالسوط ، و مثل بهلبديوس Helpidius ، أحد العلماء ، حيث قطع لسانه وقدميه ويديه و علقها على طرف حربه أمامه ، وأمر بحمله على نعش والتجول به عبر شوارع المدينة ، ثم حمله بعد ذلك إلي شاطئ البحر حيث فقأت عينيه ووضع في زورق وأشعل به النار ، أما بالنسبة لجيرمانيوس فقد سيق إلي جزيرة وقُطعت رأسه مع ابنته، زوجة ثيودسيوس ، في حين عُثر على قسطنطينا مقطوعة الرأس مع بناتها الثلاثة في خلقيدونية ، وهو نفس المكان الذي لقي فيه زوجها وأبنائها الخمسة من قبل حتفهم ([١٢]) . فقد دفنت البنات الثلاثة مع أمهن في سانت مماس Saint-Mamas على أبواب القسطنطينية ،ونقش على أضرحتهن عبارات حزينة تذكر النكبات التي أصابت هذه العائلة المنكوبة ([١٣]).

وبالنظر إلي سلسلة المؤامرات التي ذكرها لنا بالتفصيل المؤرخ ثيوفان نجد أن : وصف المؤرخ ثيوفان للأحداث التي وقعت في القسطنطينية لا يحتوى على

ازدواجيات فحسب بل كذلك على أخطاء زمنية ، فبالتدقيق في المؤامرة التي يرويها لنا ثيوفان عام ٦٠٨م و الأخرى التي يرويها عام ٦٠٩م نجد أن الأشخاص الذين اشتركوا في كلا المؤامرتين تقريبا هم نفس الأشخاص ، ولاسيما ثيودور الذي أُعدم عام ٦٠٨ م ، نجده عام ٦٠٩م يدبر مؤامرة جديدة بغرض الوصول للعرش ، فهل يعقل ذلك.....؟

وبمقارنة الأشخاص المتآمرين عند ثيوفان عامي ٦٠٨ و٦٠٩ م بالمتآمرين طبقا للحولية الفصيحة نجدهم نفس الأشخاص حيث ذكرت في سنة ٦٠٥م : " أنه في اليوم السابع من شهر يونيه أُعدم ثيودر ....والقائد رومانوس وثيودسيوس والبطريق الألمع يوحنا وغيرهم ....ومن الأعيان إلبيديوس الذي قُطع لسانه و سُملت عيناه وألقي به على زوق وأُحرق ، أما الآخرون فقطعت رؤوسهم لأنهم تأمروا على قتل فوقاس " .([14])

ومن ذلك نستنتج أنه لم تكن هناك سلسلة من المؤامرات وبل هي مؤامرة واحدة حدثت عام ٦٠٥ م طبقا لرواية الحولية الفصيحة حيث هي أدق من الناحية الزمنية من ثيوفان ، من المحتمل أن ثيوفان اعتمد على مصدرين ونسخ أحدهما بعد الآخر في أعوام مختلفة ، أو يبدو أنه قسم المؤامرة على جزأين ووزعها على سنوات مختلفة .

الهوامش

(١) C.M.H ,vol .2,ed Bury, (New York.1913) ,p286; Stratos.A ,Byzantium In The Seventh Century .T,I.602-634, Amsterdam1968.,op.cit,p.70.

(٢) Lebeau, Histoire du Bas Empire Tom 10, Paris 1929, p.412; J.B.Bury ,A History of the Later Roman Empire , V.II , New york.1889, p.201; Foord, E.A, The Byzantine Empire ,London.1911.op.cit,p94.

(٣) Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and near Eastern History AD 284-813 Trans C.Mango& R.Scott , Oxford, 1997..p.419; Treadgold.W; History of Byzantine, state and society, London 1997, pp. 273; Gibbon (E) , Decline and fall of the Roman Empire, Vol ,5, ed Bury, London 1909.,p.193; Charles ; The Story of The Byzantine Empire; London.1891,pp.128-9; J.Haldon;Byzantium in the seventhCentury,pp.37-41;Stratos,op.cit,p.70;Foord,E.A,op.cit,p94.

(٤) Theophanes,p.422; J.B.Bury ,Op.cit, p.201; Stratos,op.cit,p.70.

(٥) Chronicon Paschale,p.695;C.M.H ,vol .2,ed Bury, (New York.1913) ,p286; Treadgold, op .cit, pp. 237; J.B.Bury ,Op.cit, p.201; Stratos,op.cit,p.70.

(٦) يوحنا النقيوسي ،تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي ، ت عمر صابر عبد الجليل ، القاهرة ٢٠٠٠ ، ص ١٦٩؛ ميخائيل السرياني : تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ت جريجورى شمعون ، تقديم جريجورى يوحنا إبراهيم ، حلب ١٩٩٦م ، ص ٢٦٧.

(٧) يوحنا النقيوسي ، المصدر السابق ، ص ١٦٩.

(٨) John Antioch.Chronicls in C.Muller,Fragmenta Historicum Graecorum ,Vol.5 ,Paris 1938.V.37 .

(٩) ميخائيل السرياني ، المصدر السابق ، ص ٢٦٧.

(١٠) Theophanes, Chrongraphia.pp.423; Lebeau, op.cit, p.434; C.M.H ,vol .2,ed Bury, (New York.1913) ,p286; Treadgold, op.cit, p. 338;Stephen .M, A History Of the Later Roman Empire , AD 284- 641, 2 Edition, Oxford .2015.

Op .cit, P .550; J.B.Bury ,Op.cit, p.202; ; E.Gibbon, op. cit ,pp.193-4; Stratos,op.cit,pp.72-3.

وأنظر: ليلى عبد الجواد ، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل و علاقته بالمسلمين ، القاهرة ١٩٨٥م ، ص ٥٢.

(١١) Theophanes, Chrongraphia.p.426 ;Olester ,The Politics of Usurpation in the SeventhCentury,Amsterdam1993,p.71; Stephen .M , A History Of the Later Roman Empire , AD 284- 641, 2 Edition, Oxford .2015 Op .cit, P.550; J.B.Bury ,Op.cit, p.202.

(١٢) Theophanes, Chrongraphia, p.426 ;Olster, op .cit , p.71
Stephen .M , Op .cit, P .550; J.B.Bury ,Op.cit, p.202.

(١٣) Theophanes, Chrongraphia, p.426; E.Gibbon, op. cit ,p.194; Stratos,op.cit,p.73; Foord, E.A, op.cit,pp95-6.

(١٤) ChroniconPaschale,p.697.

قائمة المصادر و المراجع

اولاً : المصادر و المراجع الأجنبية

1-Anonymous, Chronicon Paschale, Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae ,Vol.I,Bonne1832.

2- Foord, E.A, The Byzantine Empire ,London.1911.

3-Gibbon (E) , Decline and fall of the Roman Empire, Vol ,5, ed Bury, London 1909.

4- Jones, The Later Roman Empire , 248-602, vol 1 , Oxford,1964.

5-John Antioch.Chronicls in C.Muller,Fragmenta Historicum Graecorum ,Vol.5 ,Paris 1938.

6- Lebeau, Histoire du Bas Empire Tom 10, Paris 1929 .

7-Olester ,The Politics of Usurpation in the SeventhCentury,Amsterdam1993

8-Stephen .M , A History Of the Later Roman Empire , AD 284- 641, 2 Edition, Oxford .2015.

9- Stratos.A ,Byzantium In The Seventh Century .T,I.602-634, Amsterdam1968.

10- Theophanes, The Chronicle of Theophanes Confessor, Byzantine and near Eastern History AD 284-813 Trans C.Mango& R.Scott , Oxford, 1997.

11-Treadgold.W; History of Byzantine, state and society, London.2013.

ثانياً : المصادر و المراجع العربية و المعربة

١- ليلى عبد الجواد ، الدولة البيزنطية في عهد الإمبراطور هرقل و علاقته بالمسلمين ، القاهرة ١٩٨٥م .

٢- ميخائيل السرياني : تاريخ مار ميخائيل الكبير ، ت جريجورى شمعون ، تقديم جريجورى يوحنا إبراهيم ، حلب ١٩٩٦.

٣- يوحنا النقيوسي ، تاريخ مصر ليوحنا النقيوسي ، ت عمر صابر عبد الجليل ، القاهرة ٢٠٠٠م .